المحاضرة الثامنة : فن المعـــــارضات :

المعارضة الشعرية فضاء فني تستعرض فيه الذات الشاعرة طاقتها الإبداعية وقدرتها على محاكاة النصوص السابقة وإعادة إنتاجها بنفس شعري جديد يربط الحاضر بالماضي ويحيي الأصوات القديمة ويمنحها حقّ الاستمرارية والخلود .

وتعد المعارضة آلية فنية لتنشيط الفعل الثقافي ، ورافدا من روافد إثراء الحركة الشعرية بالانفتاح على التجارب الفنية الناضجة ، وإقامة حوار فني بين الشعراء المنتمين لعصور أدبية مختلفة .

1/ المعارضة لغة : عرفها ابن منظور في لسان العرب فقال : " عارض الشيء معارضة أي قابله . وعارضت كتابي بكتابه أي قابلته ، وفلان يعارضني : أي يباريني " [1]

وبذلك فالمعارضة هي : المقابلة ، والمحاذاة ، والمماثلة ، والمجاراة ، والمحاكاة ، والموازنة.

2/ المعارضة اصطلاحا : عرفها **أحمد الشايب** فقال : " أن يقول شاعر قصيدة في موضوع ما من أيّ بحر وقافية ، فيأتي شاعر آخر فيعجب بهذه القصيدة لجانبها الفنّي ، وصياغتها الممتازة ، فيقول قصيدة من بحر الأولى وقافيتها ، وفي موضوعها أو مع انحراف عنه يسير أو كثير ، حريصا على أن يتعلق بالأول في درجته الفنية أو يفوقه فيها ، فيأتي بمعان أو صوّر بإزاء الأولى

تبلغها في الجمال الفنّي أو تسمو عليها بالعمق أو حسن التعليل ، أو جمال التمثيل ، أو فتح آفاق جديدة في باب المعارضة " [2]

---

[1]– ابن منظور ، لسان العرب ، ج4 ، ص302

[2]– أحمد الشايب ، تاريخ النقائض في الشعر العربي ، مكتبة النّهضة المصرية ، القاهرة ، ط2 ، 1954 م ، ص7

وعلى ذلك ، فالشاعر الذي يعارض قصيدة سابقة لشاعر آخر ، إنما يفعل ذلك لإعجابه بتلك القصيدة : موضوعها ووزنها وإيقاعها وقافيتها ؛ فهو حين يختار القصيدة يختار هذه العناصر اختيارا ، ولكنه يتقيّد بها بعد أن يتمّ الاختيار وتقع المعارضة ، على عكس النقائض ، التي تفرض فيها على الشاعر المُناقض تلك العناصر فرضا فلا خيار له في ذلك ، و كأنّ الشاعر الأول يُلزم الثاني بها .

ويرى أكثر الدارسين أنّ المعارضة تعني : توافق القصيدة المتأخرة مع القصيدة المتقدمة في وزنها وقافيتها ، وأن يكون الغرض منهما متماثلا ، بحيث تكون القصيدة المتأخرة صدى واضحا للقصيدة القديمة .

3/ نماذج من المعارضات :

وصف الشاعر **البحتري** إيوان كسرى في سينيته المشهورة فقال :

صنتُ نفسي عمّا يُدنِّسُ نفسي * و ترفَّعتُ عن جدَا كلِّ جِبسِ

وتماسكتُ حين زعزعني الدّهرُ * التماسًا منهُ لِتعْسي و نَكْسي

حضرتْ رحليَّ الهمومَ فَوَجَّهْـ * تُ إلى أبيضِ المدائنِ عنسي

أتسلّى عنِ الخطوبِ و آسَى * لمحلٍّ من آلِ ساسانَ رسِ (ملوك الفرس)

أذكَرتنيهُمُ الخطوبُ التّوالي * ولقد تُذكرُ الخطوبُ و تُنسي [1]

تأثر بها **أحمد شوقي** ، وكان بعيدا عن بلاده ، فقال محاكيا سينية البحتري :

اختلافُ النَّهارِ واللّيلِ يُنسي * فاذكرَا لي الصِّبا وأيَّامَ أُنسي

وسلاَ مصرَ هلْ سَلا القلبُ عنها * أوْ أسا جُرحَهُ الزَّمانُ المُؤَسِّي

كلّما مرَّتْ اللّيالي عليهِ * رقَّ والعهدُ في اللّيالي تُقَسّي

مُستطارٌ إذا البواخرُ رنّتْ * أوَّلَ اللّيلِ أوْ عوتِ بعدَ جرْسِ

يا ابنة اليمِّ ما أبوكِ بخيلٌ * ما لَهُ مولعًا بمنعٍ وحبسِ

---

[1]– زكي مبارك ، الموازنة بين الشعراء ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ص139

أَحَرامٌ على بلابِلِهِ الدَّوْ * حُ حلالٌ للطيرِ من كُلِّ جِنسِ

كلُّ □ارٍ أحقُّ بالأهلِ إلاَّ * في خبيثٍ من المذاهبِ رِجسِ

وطني لوْ شُغلتُ بالخُلدِ عنهُ * نازَعتني إليهِ في الخُلدِ نفسي [1]

ومن الشعراء الذين أثروا في الشعراء اللاحقين في المشرق والمغرب والأندلس **أبو نواس** ، ومن أشهر قصائده ، قصيدته في مدح **الخصيب** أمير مصر ، قال :

أجارةَ بيْتيْنا أبوكِ غيورُ * وميسورُ ما يُرْجى لديهِ عسيرُ

تقولُ التي عن بيتِها خفَّ مَركبي * عزيزٌ علينا أن نراكَ تسيرُ

أنتَ الخصيبُ وهذهِ مصرُ * فتدفَّقا فكلاكما بحرُ

لا تقعدا بي عن مدى أملي * شيئًا فما لكما بهِ عذرُ

النّيلُ ينعشُ ماؤُهُ مِصرًا * ونَدَاكَ يُنْعِش أَهلَهُ الغَمرُ [2]

فهذه القصيدة نالت شهرة واسعة وتأثر بها الشعراء ، ومنهم **ابن □رّاج القسطلي** ، قال في مدح المنصور بن أبي عامر :

ألم تعلمي أنَّ الثواءَ هو التَّوى * وأنّ بيوتَ العاجزين قبورُ (التّوى: الهلاك)

وأنَّ خطيراتِ المهالكِ ضُمَّنٌ * لراكِبِها أنّ الجزاءَ خطيرُ

تخوّفُني طولَ السِّفارِ وإنَّه * لتقبيل كفِّ العامريّ سفيرُ

ذريني أرِ□ ماءَ المفاوزِ آجنًا * إلى حيث ماء المكرماتِ نميرُ [3]

---

[1]– زكي مبارك ، مرجع سابق ، ص 143 ، 144

[2]– مصطفى الشكعة ، الشعر والشعراء في العصر العباسي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط5 ،1980 ، ص 298

[3]– زكي مبارك ، الموازنة بين الشعراء ، ص 276 ، 277